

أحمد علي أحمد آل مربع

جمع
السنة النبوية
في كتاب واحد

المشروع والتصور

حقوق الفكرة والطباعة والنشر

محفوظة للمؤلف

١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م

ب. تطّلع الأمة إلى جمع السنة في مصنّف واحد:

من الملاحظ أن أحداً من المُحدّثين قديماً وحديثاً لم يوفق إلى الإحاطة بجميع السنة النبوية في مصنّف واحد، أو مُدوّن جامع شامل لأحاديث المصطفى الكريم، بحيث يستوعب جميع ما روته كتب السنة والحديث ولا يغادر منها شيئاً..

صحيح أن التاريخ احتفظ لنا بجهود متفاوتة زماناً وتنظيماً واستيعاباً تطّلت إلى تحقيق ذلك الأمل الكبير، وحياسة شرف العمل به والنسبة إليه، مثل: "التجريد للصحاح الستة" لرزين السرقسطي (ت ٥٣٥هـ)، و"جامع الأصول في أحاديث الرسول" لابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، و"جامع المسانيد والسنن" للعلامة ابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، و"جمع الجوامع أو الجامع الكبير" للسيوطي (ت ٩١١هـ)، و"كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال" للمتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ)، و"الجامع الأزهر في أحاديث النبي الأنور" للعلامة عبد الرءوف المناوي (ت ١٠٣١هـ)، و"الفتح الكبير" للنبهاني (ت ١٣٥٠هـ)، وغيرها من الاجتهادات المستمرة إلى يومنا هذا؛ مثل: جهود الشيخ الألباني، ود. محمد مصطفى الأعظمي، ود. عبد الملك بن بكر قاضي، ود. همام عبد الرحيم سعيد، ود. عبد العظيم الديب، ود. محمود الميرة، ومشاريع أخرى أرادت أن تنهض لجمع

السنة النبوية، مثل: مشروع مركز الكمبيوتر الإسلامي في لندن ببريطانيا، ومشروع (أنوما ستيكون آرابيكوم) للتراث العربي في باريس بفرنسا، ومشروع سلسبيل لخدمة السنة والسيرة النبوية، ومشروع السنة (موسوعة الحديث الشريف - شبكة إحسان)، وجهود مركز بحوث السنة والسيرة في دولة قطر، التي يقوم عليها العلامة يوسف القرضاوي، ومركز معلومات السنة النبوية بالقاهرة، إضافة إلى جهود عديدة أخرى تبنتها بعض الجامعات والمراكز العلمية على امتداد العالم العربي والإسلامي، منها: الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.



ج. ضرورة العمل على جمع السُّنة في مصنّفٍ واحد:

هذه المحاولات المذكورة وغيرها من المحاولات الموسوعية: التراثية، والمعاصرة مجموعة، أو منعزلة، لم تستوعب سُنَّة النبي ﷺ ولم يدع أصحابها ذلك، وهي جميعاً - على جليل مكانتها، ونبيل غايتها، وعظم ما بذل فيها من جهد - ظلت:

- إما في نطاق المحاولات الفردية التي اعتورها ما يعثور مجهود الأفراد من القصور، وضعف التنظيم، والعجز عن الاستيعاب والشمول والإحاطة.
- أو في نطاق النشاط المؤسسي الضعيف، الذي تعوزه الخبرة، والمصداقية، ويفتقر إلى الخطة الفاعلة، وإلى المنهج الدقيق، والدعم المادي، والعمل الدؤوب، والإنتاج الفعلي.

كما أنها في عمومها: بصفاتها أعمالاً معزولة عن بعضها، تعاني كثيراً من الخلل في المنهج، والازدواج، والاضطراب، والتكرار.

* * *

واليوم وقد ظهرت مصادر رواية الحديث، وانتشرت بين الناس، وتوافر لنا من الوسائل العلمية والتقنية المعينة على الفهرسة

والجمع والتصنيف ما يجعل تحقق ذلك الأمل الإسلامي الكبير ممكناً على الرغم من الصعوبات التي تعترض طريقه، فإن الحاجة إلى جمع السنة النبوية في مُصنّفٍ واحدٍ، باتت أمراً ملحاً وضرورياً تفرضه طبيعة العصر العلمية، والتحدّيات الحضارية التي يواجهها المسلمون في العصر الحديث، كما تفرضه حاجات المسلمين عامة وخاصة إلى أن تحوي منازلهم ومدارسهم وجامعاتهم ومكتباتهم نسخاً تامةً جامعةً للسنة النبوية، كما يحتفظون فيها بنسخة مطهرة من القرآن الكريم.

قال المحدث الدكتور عبد الملك بن بكر قاضي: «إذا كانت الحاجة فيما مضى إلى موسوعة للحديث النبوي أملاً، فقد أصبحت في الوقت الحاضر عملاً واجباً...» (كتاب الحج والعمرة ص ١٥).

وجاءت في توصيات المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية، المنعقد بالدوحة في قطر، في محرم سنة ١٤٠٠هـ المطالبة ب:
العمل على إنشاء مركز لدراسات السيرة والسنة النبوية، وإخراج موسوعة للحديث النبوي..

غير أن ذلك المشروع لم يتحقق فعلياً على أرض الواقع؛ مما يؤيد ما ذكرناه بشأن ازدياد الحاجة إليه.

وذلك الأمل: عمل ضخم لا يستطيعه فرد أو أفراد - كما أشرنا - بل لا بد من قرار دولة، ورعاية رسمية، وخطّة تنظيمية فاعلة، ولا بد

من قيام جهة مسنولة موثوق بها، تعمل على: جمع السنّة النبوية المطهّرة، وتصنيفها، وتبويبها، وطباعتها، ونشرها، بين المسلمين؛ لتعمّ الفائدة من المشروع.

* * *

إن المشروع يستلزم تشجيعاً ورعايةً خاصةً من ولاة الأمر، وأهل الحل والعقد؛ والرجوع إلى التاريخ الإسلامي يُقرر أن الثمار المباركة التي نجنيها اليوم في جانب السنّة النبوية المطهّرة، وغيرها من المعارف التراثية الأصيلة، كان ثمرة من ثمار التعاون بين الخلفاء والأمراء والعلماء. فأبو نعيم يذكر في الحلية: أن هشام بن عبد الملك كان يُكره العلماء على كتابة السنّة وجمعها، وأن عمر بن عبد العزيز وجّه أبا بكر بن حزم إلى كتابة السنّة، وأمر بذلك أيضاً ابن شهاب الزهري، وأمر محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة بكتابة حديث عمّرة بنت عبد الرحمن الأنصارية؛ تلميذة السيدة عائشة رضي الله عنها، وكلف الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور الإمام مالكا بتصنيف الموطأ... إلخ.

